وسط بطن المرأة بمدية مطهرة كانت معها. وتقع عيون الناس عليها فيمسكون بها ويقيدونها ويحبسونها في حبس محصن. وظلت في حبسها راضية به، وقد عاودتها روح ابن طفيل وصارت تتكلم بضمير المذكر (ص 11)، إلى أن مات أو نسي كل من يعرفونها.

ولما خلا الجو من عارفيها راحت تصلي بالحرم بوصفها رجلا معه حمامة مكلف بحراستها، وأثناء طوافه حول الكعبة ومعه الحمامة (مرت «عابدة» وكانت في أواخر شهرها التاسع تسوقها أمها في الطواف لتسهل تسعات البيت ولادتها ـ ص 11).

واهتزت الروح الأندلسية واشتاقت لحياة البشر ومعيشتهم، وذلك بعدما رأت جسد (عابدة) يتفتت من الطلق، فدخلت الروح في مخاض المرأة (وجاءت الولادة عسيرة كخروج كائن من جلده، وترقش جلدي بكل تقلصاتها وزلاقتها، ووجدتني تحت خيمة زوج وزوجة حديثي عهد بالحياة (عابدة وصالح) ووسموني بالزهراء ـ ص 12).

هنا مزيج من ذاكرة التاريخ والأرواح والأجناس وعلاقات الروح مع الجسد، هي ذاكرة تعيد صياغة الجسد مع جنسه المذكر والمؤنث وكأنها معركة المعنى ضد اللفظ، أو محاولة المعنى بوصفه أنثى للتحرر من اللفظ الفحل، وفي ذلك تقول فاطمة المكية: (أو السبكية أو الزهراء):

(وحين تسألونني عن خط حياتي القديم، أصارحكم بأنني قد تنقلت بين الأحياء والرموز متجنباً الألفاظ وأجسادها، وذلك ليقيني بأن «التحكم بالألفاظ على أمر ليس من شأنه أن يلفظ به، خطر» ـ ص 6).

هذه رحلة في (الخطر) لأنها مسعى للتحكم بالألفاظ، ولذا حلت هذه الروح أجساداً عدة واستوطنت بلاداً عدة، وتعددت ميلاداتها (ولاداتها).